



دورية علمية مُحَكَّمة - العدد السادس - ٢٠٢٢

ISSN 2735-4210





دورية علمية مُحكّمة



مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء - النشر (فان)

ذاكرة العرب. ع6 (2022) - . الإسكندرية، مصر : مكتبة الإسكندرية، قطاع البحث الأكاديمي، مشروع ذاكرة العرب، 2023.

مجلدات ؛ سم.

ربيع سنوي

ردمدم 2735-4210

1. العرب-- تاريخ-- دوريات. 2. الثقافة العربية-- دوريات. 3. الحضارة العربية -- تاريخ -- دوريات. 4. الدول العربية-- تاريخ-- العصر الإسلامي-- دوريات. 5. الدول العربية -- تاريخ-- دوريات. أ- مكتبة الإسكندرية. قطاع البحث الأكاديمي. مشروع ذاكرة العرب.

2020424354276

ديوي 909.04927

ISSN 2735-4210

© مكتبة الإسكندرية، ٢٠٢٣.

الاستغلال التجاري

يحظر إنتاج نسخ متعددة من المواد الواردة في هذه الدورية، كلها أو جزء منها، بغرض التوزيع أو الاستغلال التجاري، إلا بموجب إذن كتابي من مكتبة الإسكندرية. وللحصول على إذن لإعادة إنتاج المواد الواردة في هذه الدورية، يُرجى الاتصال بمكتبة الإسكندرية، ص.ب. ١٣٨، الشاطبي ٢١٥٢٦، الإسكندرية، مصر.

البريد الإلكتروني: secretariat@bibalex.org

طُبع بمصر

١٠٠٠ نسخة

مجلة ذاكرة العرب دورية علمية مُحكّمة تهتم بالتراث الثقافي والتاريخي والحضاري للبلدان العربية والإسلامية، وتهدف إلى التأكيد على أهمية استعادة الذاكرة العربية للحاضر العربي الراهن، وتصدر عن مشروع «ذاكرة العرب» بقطاع البحث الأكاديمي بمكتبة الإسكندرية.



الهيئة الاستشارية

- أ.د. أشرف فراج (مصر)
أ.د. ألبرشت فوس (ألمانيا)
أ.د. أيمن فؤاد سيد (مصر)
أ.د. حسام الدين شاشية (تونس)
أ.د. حسن محمد النابودة (الإمارات)
أ.د. حسين العمري (اليمن)
أ.د. خالد زيادة (لبنان)
أ.د. خوسيه ميغل بوريتا (إسبانيا)
أ.د. ديفيد نيكول (إنجلترا)
أ.د. سليمان الذيب (السعودية)
أ.د. صلاح جرار (الأردن)
أ.د. عبد الرحمن السالمي (عمان)
أ.د. عبد القادر بوبايا (الجزائر)
أ.د. عبد الواحد ذنون طه (العراق)
أ.د. محمد أبطوي (المغرب)
أ.د. محمد الأمين ولد أن (موريتانيا)
أ.د. مصطفى موالدي (سورية)
أ.د. نيقولا ميشيل (فرنسا)

الإشراف العام

أ. د. أحمد عبد الله زايد
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس قطاع البحث الأكاديمي

د. مروة الوكيل

رئيس التحرير

د. محمد الجمل

هيئة التحرير

د. شيرين القباني

د. رضى زكي

المراجعة اللغوية

د. محمد حسن

دينا عيسوي

مراجعة التنسيق

مروة عادل

معالجة النصوص

سمّاح الحدّاد

التصميم الجرافيكي

محمد شعراوي

الإسكندرية، ٢٠٢٢



قواعد النشر

- ترحب المجلة بنشر البحوث الجديدة في كافة مجالات دراسات التراث الثقافي والتاريخي والحضاري للبلدان العربية والإسلامية.
- يجب أن يتسم البحث بالأصالة والابتكار والمنهجية، وأن يكون البحث جديداً ولم يُنشر من قبل بأي صورة من صور النشر، وغير مستل من كتاب أو رسالة جامعية (ماجستير، دكتوراه).
- يتراوح عدد كلمات البحث بين ٦٠٠٠ و ٨٠٠٠ كلمة.
- يُستخدَم خط Traditional Arabic للبحوث باللغة العربية بحجم ١٦ للمتن، و ١٤ للهوامش، ومسافة واحدة بين السطور.
- يُستخدَم خط Times New Roman للبحوث باللغة الإنجليزية بحجم ١٤ للمتن، و ١٢ للهوامش، ومسافة واحدة بين السطور.
- توضع الهوامش والإحالات في نهاية البحث إلكترونياً، ويكون تسلسل أرقام الهوامش متتالياً متسلسلاً في البحث.
- يرفق قائمة بالمصادر والمراجع في نهاية البحث.
- يراعى اتباع منهجية النشر وقواعد كتابة المصادر والمراجع المتبعة في مكتبة الإسكندرية، ويلتزم الباحث بإجراء أي تعديلات ببليوغرافية حال طلبها.
- يرسل الباحث السيرة الذاتية مختصرة، ومزودة بطاقة الهوية وبيانات اتصال كاملة.
- تحكيم الأبحاث سري ومعد على نموذج يخضع للمعايير العلمية الأكاديمية، وقرار إجازة البحث للنشر أو رفضه هو قرار نهائي. في حال الإجازة مع التعديل، يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة وفق المدة المحددة.

التواصل وإرسال الأبحاث عبر البريد الإلكتروني للمجلة:

arabmemory.journal@bibalex.org

الفهرس

- ٧ تقديم
- ٩ مساهمة مصر في ازدهار الحركة العلمية بالأندلس من خلال كتاب «عيون الإمامة ونواظر السياسة»
لأبي طالب المرواني
أ. د. عبد القادر بوباية
- ٢٥ القاهرة المستنصرية من خلال وصف ناصر خسرو في «سفر نامه» (٤٣٩-٤٤٢هـ / ١٠٤٧-١٠٥٠م)
أ. د. حسن عبد الوهاب سليم
- ٤١ العلاقات الدبلوماسية بين سلاطين دهلي والخلافة العباسية في بغداد والقاهرة: دراسة تاريخية في ضوء
المصادر المصرية والهندية
د. صاحب عالم الأعظمي الندوي
- ٧٣ صورة القاهرة في عيون أندلسية: قراءة في كتاب «النجوم الزاهرة في حُلَى حضرة القاهرة»
د. شيماء فرغلي
- ٩٥ علم الأنساب والدلالات الحضارية من مؤلفات القَلَقَشَندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٩م)
أ. د. عثمانى أم الخير
- ١١٧ مظاهر الأرستقراطية لحي الأزبكية في عصر دولة المماليك الجراكسة
د. إيمان صلاح عطاطة
- ١٤١ الآيات القرآنية على مسكوكات الخلافة الفاطمية والدول التابعة لها
د. فرج الله أحمد يوسف



مدرسة المنصور قلاوون، عن أدريان دورانتس.

تقديم

لقد خطت مكتبة الإسكندرية خطوات واسعة نحو أداء أدوارها الثقافية والعلمية المتعددة على كافة المستويات المحلية والعربية والدولية، وذلك بعقد الندوات والمؤتمرات الدولية ونشر البحوث والمؤلفات العلمية الرصينة من خلال مراكزها العلمية المتعددة في مجالات العلوم والفنون والآداب.

وفي هذا السياق، تُصدر المكتبة العدد السادس من مجلة «ذاكرة العرب» التابعة لمشروع «ذاكرة العرب» بقطاع البحث الأكاديمي بالمكتبة، وهي دورية علمية مُحكّمة تهتم بالتراث الثقافي والحضاري للبلدان العربية، وتصدرها المكتبة منذ عام ٢٠١٨ بهدف التأكيد على أهمية استعادة الذاكرة العربية للحاضر العربي الراهن. وحُصص هذا العدد لموضوع «القاهرة ملتقى الثقافات والحضارات منذ نشأتها إلى نهاية العصر المملوكي» وذلك بمناسبة اختيار منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) للقاهرة عاصمةً للثقافة الإسلامية لعام ٢٠٢٢، ليعبر ذلك عن جانب من الأحداث والفعاليات الثقافية التي تُنظّمها مكتبة الإسكندرية، وتتيحها للباحثين والمهتمين من خلال دراسات ودوريات علمية مُحكّمة منشورة.

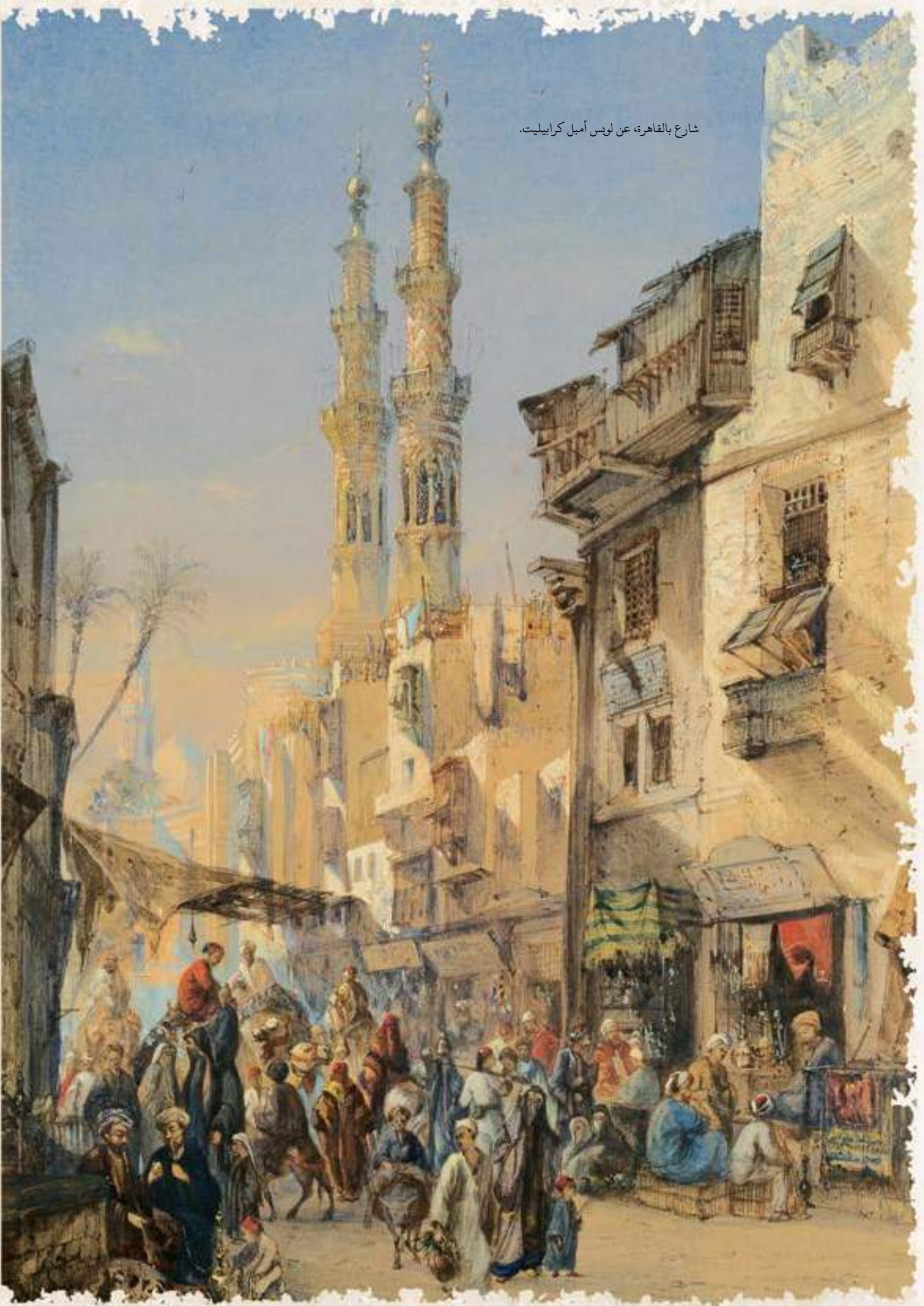
وقد ضم هذا العدد بعض البحوث المقدّمة وفقاً للمحاور التي تضمنها الإعلان عن النشر العلمي في هذا العدد، مثل: مساهمة مصر في ازدهار الحركة العلمية بالأندلس، والقاهرة المستنصرية من خلال وصف ناصر خسرو في كتابه سفرنامه، بالإضافة إلى العلاقات الدبلوماسية بين سلاطين دهلي والخلافة العباسية في بغداد والقاهرة من خلال المصادر المصرية والهندية، وصورة القاهرة في عيون أندلسية، وعلم الأنساب والدلالات الحضارية من مؤلفات القلقشنودي، ومظاهر الأرسطراطية لحي الأزيكية في عصر دولة المماليك الجراكسة والآيات القرآنية على مسكوكات الخلافة الفاطمية والدول التابعة لها.

أ.د. أحمد عبد الله زايد
مدير مكتبة الإسكندرية

القاهرة المستنصرية
من خلال وصف ناصر خسرو
في «سفر نامه»
(٤٣٩-٤٤٢هـ / ١٠٤٧-١٠٥٠م)

أ.د. حسن عبد الوهاب سليم

شارع بالقاهرة، عن لويس أميل كرابيليت.



القاهرة المستنصرية

من خلال وصف ناصر خسرو في «سفر نامه» (٤٣٩-٤٤٢هـ / ١٠٤٧-١٠٥٠م)

أ.د. حسن عبد الوهاب سليم*

القاهرة المستنصرية

وصل ناصر إلى القاهرة في (٧ صفر ٤٣٩هـ / ٤ أغسطس ١٠٤٧م) حيث بدأ وصفه ولاية مصر التي قصد ذكر امتدادها، وحدودها سواء التابعة لها مباشرة أم الخاضعة لها، وكذلك حدودها البحرية. وبدأ بوصف نهر النيل محاولاً معرفة منابعه التي أرسل السلطان بعثة استكشافية لها، ولكنها أخفقت. ثم يشير إلى فيضان النيل وقياسه وما يتعلق به من نظم ري^(١). وفي حديثه عن الإسكندرية يربط بينها وبين بحر الروم والقيروان والأندلس، مشيراً إلى أنه سمع من أحد الثقات -دون أن يحدده- أن محيطه بلغ أربعة آلاف فرسخ^(٢). ثم ينتقل إلى الحديث عن بحر القلزم ووصفه، ويحدد مدة الرحلة عبره إلى الجار في عشرين يوماً، أما الطريق البري فيقطعه الحاج إلى مكة المكرمة في خمسة عشر يوماً. وهذا التحديد من خلال خبرته في سفره للحج سواء عبر الطريق البري أم البحري، مما يضيف إلى روايته أهمية خاصة في هذا الجانب^(٣). وفي حديثه عن عيذاب

يُعد «سفر نامه» لمؤلفه ناصر خسرو واحداً من أهم المصادر لدراسة تاريخ مصر الفاطمية في عصر المستنصر بالله الفاطمي، واخترت نسبتها هنا إلى المستنصر لما أورده ناصر خسرو من وصف لها أثناء إقامته بها في المدة (من ٧ صفر ٤٣٩هـ إلى أواخر جمادى الثانية ٤٤٢هـ، الموافق ٤ أغسطس ١٠٤٧م إلى أواخر أكتوبر ١٠٥٠م). وسجل ناصر رحلته على شكل يوميات، ثم صاغها بعد عودته إلى موطنه، والتي -على الأغلب- لم تصل إلينا كاملة^(٤).

أما وصفه للقاهرة المستنصرية فقد تنوع ما بين مشاهداته وما سمعه في بعض الأحيان من الثقات كما يروي، والذي يؤكد عليه في عبارته التالية: «ولكن ليس لي يد فيما كتبت، فليست عهده عليّ، ولم أكتب إلا ما رأيت»^(٥). وهذه العبارة تدل على أنه يقصد إبعاد الاتهام عنه لاتباعه مذهب الفاطميين بعد عودته وإظهاره ذلك^(٦).

يشير إلى تبعيتها إلى سلطان مصر، وذكر أن النوبة كان لها ملكٌ خاص، مما يضيف -أيضاً- أهمية إلى روايته بالنسبة إلى ما يُعرف بالحدود السياسية في عصرنا الحالي^(٧).

القاهرة المعزية

حرص ناصر خسرو على وصف القاهرة منسوبةً إلى المعز لدين الله الفاطمي، وهو ما أكده ابن عبد الظاهر في عنوان كتابه «الروضة البهيّة الزاهرة في خطط المعزية القاهرة»^(٨). وينفرد بذكر رواية الكلب الأسود الذي أمرهم المعز أن يعبر النيل قبل عبور الجيش، ثم تلك السفن السبع التي كانت لا تزال موجودة كذكرى لدخول الفاطميين مصر، وذكر أن الواحدة منها يبلغ طولها مائة وخمسون ذراعاً وعرضها سبعون ذراعاً، ومضى عليها في هذا الموضوع نحو ثمانين عاماً^(٩).

وإذا توقفتنا عند ما ذكره ناصر خسرو نجد أن المصادر قد ذكرت أن جعفر بن فلاح قد عبّر نهر النيل وهو في مركب ومعه مجموعة من الرجال سباحةً، واستعانوا بعدد من المراكب في ذلك. أما هذه التي أشار إليها فربما تكون تلك التي ركبها المعز لدين الله الفاطمي عند وصوله القاهرة في (٥ رمضان ٥٦٢هـ)، أو التي كانت تُستخدم عند احتفال كسر الخليج^(١٠). أما عن تأريخ ناصر خسرو لهذه الحادثة فقد ذكرها في عام ٣٦٣هـ، وقال بأنها هي السفينة التي ركبها المعز عند قدومه إلى مصر^(١١). ومرة أخرى لم تشر المصادر إلى هذه الرواية التي انفرد بها. كما أضاف تفسيراً آخر لتسميتها بالقاهرة، وهو أن المعسكر الذي نزل به المعز سُمي بالقاهرة لأن جيشه كان قاهراً^(١٢).

مجتمع القاهرة

السلطان وحاشيته:

وصف ناصر خسرو السلطان المستنصر بأنه: شاب كامل الجسم، من أبناء أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان حليق الرأس، يركب على بغلٍ، ويرتدي قميصاً أبيض يُسمى الديقي وقيمته نحو عشرة آلاف دينار، وعلى رأسه عمامةً بنفس اللون^(١٣).

كما وصف سجود الرجال له عند اقترابه منهم والدعاء له^(١٤). وهو ما يخالف ما كان مُتبعاً في عصر الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ / ٩٩٦-١٠٢١م) الذي أمر في عام ٣٩٦هـ بوقوف الناس والسجود له إذا ذكر اسمه، وذلك في الأسواق أو أماكن التجمعات الأخرى. ثم عاد في عام ٤٠٠هـ ومنع أن يُخاطب بمولانا، ومنع كذلك تقبيل الأرض له^(١٥). ويؤكد ناصر على ثقة الناس بالمستنصر وعدم خوفهم من الجواسيس والعمّازين، لعدم طمعه في أموال أحد منهم^(١٦).

وفي أثناء وجود ناصر في مصر شاهد احتفالاً المستنصر بمولد أحد أبنائه واصفاً الزينة التي أقيمت في القاهرة والأسواق، وذكر أنه لن يصدقه أحد فيما رآه من ازدحام دكاكين البزازين والصرافين، وامتلائها بالذهب والجواهر والأمتعة بحيث لم يكن هناك متسع لمن يرغب في الجلوس^(١٧).

ويدل هنا مرةً أخرى على مدى الثراء في تلك الفترة في عصر المستنصر وقبل الشدة العظمى التي ستكون بداية مرحلة الاضمحلال في تاريخ الدولة الفاطمية. ومن ناحية أخرى لم يحدد ناصر اسم المولود، ولم نجد له إشارة في المصادر الأخرى؛ حيث إن نزار الابن الأكبر للمستنصر كان قد وُلد في عام ٤٣٧هـ، أما أصغر الأبناء فهو أبو القاسم، واسمه أحمد، فكان مولده في عام ٤٦٧هـ^(١٨).

ركب المستنصر وفرقه:

وصف ناصر الفرسان الذين كانوا في ركب السلطان وعددهم نحو عشرة آلاف، ووصف الزينة التي كانت على خيولهم من تلك السروج المذهبة التي كُتب عليها اسم السلطان المستنصر، وكذلك الجمال والبغال والهوادج التي عليها كانت مرصعة بالذهب والجواهر^(١٩).

ويعدد فريق الجيش الفاطمي التي بلغ عددها تسع فرق، مجموع الفرسان والمُشاة بها نحو مائة وخمسة وسبعين ألفاً، غالبيتهم من الفرسان، ومنهم من تخصص في القتال بالرمح والسيوف، ومنهم من قديم من المغرب (مثل: فرق الكتاميين والباطليين والمصامدة)، وآخرون وُلدوا في مصر، ومن المشاركة والترك، والعجم، والبدو، إضافةً إلى الزوج. وكانت نفقة هذا الجيش من مال السلطان تصرف لهم من الخزانة دون إرهاق لأي والٍ أو أحدٍ من الرعية. أما فرقة أبناء الملوك والأمراء الذين قدموا إلى مصر فلم يحدد ناصر عددهم مثل باقي الفرق السابقة^(٢٠). ولم يذكر لنا ناصر أن أمّ المستنصر السيدة «رصد» قد أكثرت من العبيد السود الذين بلغ عددهم خمسين ألفاً، بينما جنده من الترك كانوا نحو عشرين ألفاً^(٢١).

وصف مائدة السلطان:

رغب ناصر في وصف تلك المائدة التي تعد في عيدي الفطر والأضحى، والتي يستقبل فيها السلطان بعد الصلاة خواصه والعامّة، وأبدى ذلك لأحد خواصه الذي طلب من المُوكّل بالستار أو صاحب الستار -كما يعرف- أن يسمح له برؤية السّمات فسمح له، حيث ذهب في (آخر يوم من رمضان ٤٤٠هـ / ٧ مارس ١٠٤٩م) -وذلك بحسب طريقة الفاطميين في استخدام الحساب الفلكي لرؤية هلال شوال-. ووصف ناصر تلك الأجنحة الاثني عشر، ومساحة كل واحد منها، وما هو

وإضافةً إلى فرق الجيش الأخرى يحضره أيضًا الوزير والفقهاء والأدباء والشعراء، إضافةً إلى أبناء الأمراء الذين يتقاضى الواحد منهم ما بين الخمسمائة والألفين دينار لمجرد السلام على الوزير. ثم يتناول السلطان مِرْزاقًا ليضرب به السد، ثم يشارك الرجال المخصصون لذلك في هدم السد لكي ينساب الماء ويجري في الخليج، وكذلك التُّرع والخلجان الأخرى، ويعقب ذلك أيضًا سير المراكب أو ما يعرف بالعشاريات.

ومما انفرد به ناصر أنه رأى أول مركب وهي تنزل في الخليج حاملةً جماعةً من الخُرس يُطلق عليهم «كدك ولال» تفاوضًا بهم، وفي هذا اليوم يمنحهم السلطان صدقاته^(٤١).

سكان القاهرة:

لم يخصص ناصر عنوانًا للحديث عن سكان القاهرة، وإنما جاء ضمن حديثه بصفة عامة عنها. ومن هذه العناصر الديلمية، الذين وفِدوا مع أفتكين المعزي وأولاده، وكانت لهم حارة خاصة بهم عُرفت أيضًا بحارة الأمراء لسكنائهم بها^(٤٢). كما ذكر -أيضًا- وجود الروم والباطليين وعبيد الشراء والمصامدة والنوبيين، وكانت لهم حارات خاصة بهم في القاهرة والفُسطاط^(٤٣).

أما عن المرأة فلم يكن لها نصيبٌ يُذكر في وصف ناصر خسرو، فلم يشر إليها إلا عند حديثه عن القصر الفاطمي الذي لم يُعرف عدد ما به من الجوّاري والنساء، مشيرًا إلى أنه يقال إن عدد من به بلغ ثلاثين ألف آدمي.

معلق على حوائطها من الرسوم والكتابات، وذكر أنها قد فُرشت بالديباج والبوقلمون. كما وصف ما رآه من شجرة صنعت من السُّكر، كانت موضوعةً على السَّماط، إضافةً إلى نحو ألفٍ آخر من صورٍ وتمائيل مصنوعة أيضًا من السكر. ويقول ناصر: إنه يعجز عن استيفاء وصف باقي تلك المائدة المعدة لهذا اليوم^(٤٤). وأما المطبخ الذي تُعد فيه هذه الأطعمة والحلويات فقد كان خارج القصر، ويعمل به نحو خمسين شخصًا، ويصل إليه من تحت الأرض عبر سردابٍ أربعة عشر حَمَلًا من الثلج للشرايجانه. كما كان للأمراء الخواص راتبٌ من الثلج يوميًا، وأيضًا للمرضى الذين يحتاجون إليه للعلاج^(٤٥).

المستنصر وعيد ركوب فتح الخليج:

يعد الوصف الذي قدّمه ناصر خسرو لهذا العيد المسمى بفتح الخليج أو كسر الخليج أقدم وصفٍ في المصادر الفاطمية التي وصلت إلينا عنه. وبعد متابعته لارتفاع الفيضان -الذي يجده ناصر بعشرين ذراعًا- يحضر السلطان في موكب لفتح أو كسر الخليج، كما يتم ذلك في باقي الخُلجان في مصر، لكي تمتلئ الترع بمياه الفيضان وتروى الأراضي. ويُعد سرادق خاص لهذه المناسبة يسع لنحو مائة فارس، وأمامه خيمةٌ من البوقلمون وسرادق آخر كبير. ويصحب السلطان نحو عشرة آلاف فارس يسيرون في موكب، وقد زُينت خيولهم وجمالهم وبغالهم بأبهى أنواع الزينة المكتوب عليها اسم السلطان، والتي صنعت خصوصًا لهذا الاحتفال.



(لوحة ١) سوق الغورية، عن دون فريدريك لويس.

كما ذكر ما فعله الحاكم بأمر الله من منعهم من الخروج في فترة من فترات حكمه^(٣٧). ومن اللافت عدم تناول ناصر خسرو الحديث عن السيدة رصد أم المستنصر التي كانت تتحكم في البلاد عن طريق التستري، الذي قُتل أثناء وجود ناصر في مصر^(٣٨).

لفت نظرَ ناصر ثراءَ أحد النصارى في مصر حيث طلب منه الوزير في أحد الأعوام - ولم يحدد ناصر الاسم أو العام - أن يزود الدولة بالغلة إما نقدًا وإما قرصًا، فردَّ عليه بأنه يمكنه أن يُطعم أهل مصر (يقصد: الفُسطاط) من الخبز لمدة ست سنوات!^(٣٩).

كما ذكر مقتل أبي سعيد التستري اليهودي، الذي كان تاجرًا للمجوهرات، وكان يقوم بشراء ما يحتاج إليه السلطان من مجوهرات. وقد قتله عدد من جنود السلطان، واعترفوا بذلك نتيجة لكرهيتهم له بسبب سطوته وسيطرته على الأمور لقربه من أم السلطان. وقد اعترف الجنود جميعًا بأنهم هم الذين قتلوه، وخرجوا خارج القاهرة، وكانوا نحو عشرين ألفًا. وكان السلطان من الذكاء بحيث خشي من تمردهم، فأرسل إليهم يسألهم عن طاعتهم له، فأجابوا بنعم، فعفا عنهم وعادوا إلى القاهرة دون عقاب. كما مرَّق خطابًا أرسله ابن أخي اليهودي المقتول يعرض فيه مائتي ألف دينارٍ مغربي للانتقام من قاتليه، ولكنَّ السلطان مرَّق ذلك الخطاب^(٤٠).

تؤكد رواية ناصر على صدقه حيث كان آنذاك بالقاهرة، فقد قُتل التستري في (٣ جمادى الأولى سنة ٤٣٩هـ)^(٤١). ولم يشر ناصر إلى اتهام التستري بقتل قائد الأتراك الخادم عزيز الدولة ريجان^(٤٢)، وإن كان انفردَ بذكر رد الفعل من جنوده الأتراك، وكذلك انفردَ بالخطاب الذي أرسله ابن أخي التستري.

منشآت القاهرة

قصر السلطان (القصر الكبير الشرقي):

حدّد ناصر موقعه في وسط القاهرة، وأكد عدم وجود مبانٍ من حوله، كما ذكر أنه كان يحرسه كلُّ ليلة نحو ألفٍ نصفهم من الفرسان ونصفهم من المشاة، وكانوا يدورون حوله وهم يضربون الطبل وينفخون في الأبواق من بعد صلاة المغرب وحتى صباح اليوم التالي. كما كان مكونًا من اثني عشر بناءً، وله عشرة أبواب فوق الأرض وكذلك تحتها، وهذه الأبواب التي ذكرها هي: الذهب، البحر، السريح، الزهومة، السلام، الزبرجد، العيد، الفتوح، الزلاقة، السرية^(٤٣). وبمقارنة المصادر الأخرى بما أورده ناصر خسرو يتضح الآتي:

وجود سبعة أبواب للقصر زمن المعز. ذكر ناصر خمسًا منها بنفس أسمائها، وهي: أبواب الذهب، البحر، العيد، الزهومة،

السرية. ولم يذكر بابًا ناحية قصر الشوق، وباب الديلم^(٤٤)، كما ذكر أسماء أبواب السلام، الزبرجد، الفتوح، الزلاقة.

أما الباب الذي تحت الأرض فوصفه ناصر بأنه يخرج منه السلطان راكبًا عبر سرداب يؤدي إلى قصر خارج المدينة، وله سقف محكم^(٤٥). ووصف ابن عبد الظاهر هذا الباب بأنه باب السبابط في القصر الصغير، وكان الخليفة يخرج منه إلى الميدان (وهو الخرشف في زمنه)، وذلك في يوم عيد الأضحى، وذكر في موضع آخر أن هذا السرداب تحوّل إلى مصرف للمياه عندما رآه^(٤٦).

قصر اللؤلؤة والجوهرة:

وصف ناصر ترعة الخليج التي حفرها الظاهر؛ والد المستنصر، بأن على شاطئها ٣٠٠ قرية كانت ملكًا للسلطان، وكانت تمر من مدينة مصر ثم القاهرة حيث تدور عندها. وشيّد قصرين، هما: اللؤلؤة، والجوهرة، كما عُرفا أيضًا بالمنظرة. وأعيد بناءهما في عهد الظاهر بعد أن هُدمتا في عام ٤٠٢هـ على يد الحاكم بأمر الله. وكان المستنصر ينزل بهما عند الاحتفال بعيد فتح الخليج، كما سبقت الإشارة إلى ذلك^(٤٧).

أبواب القاهرة:

وصف ناصر القاهرة بقوله: لا توجد بها قلعة وإنما لها سورٌ حولها به خمسة أبواب، هي: باب النصر، والفتوح، والقنطرة، والزويلة، والخليج^(٤٨). وتُمثّل روايته أهمية خاصة، حيث ذكرت المصادر أن الأفضل؛ أمير الجيوش، بنى بها بابين، هما النصر والفتوح، وكتب اسمه عام ٤٨٠هـ على باب زويلة. وفي موضع آخر ذكر أن باب زويلة بناه العزيز، وأتمه بدر الجمالي في عام ٤٨٤هـ^(٤٩). وعلى الرغم من عدم تحديد خسرو متى بُنيت هذه الأبواب فإن روايته تدل على وجودها عام ٤٣٩هـ أي: قبل ما أشارت إليه المصادر السابقة. أما باب القنطرة فقد بناه جوهر الصقلي عام ٣٦٠هـ، وكان يخرج منه الخليفة في احتفال كسر الخليج، وعُرف أيضًا بباب مراد دون أن نعرف متى سُمّي بذلك الاسم^(٥٠). أما باب الخليج الذي ذكره ناصر فلم يكن معروفًا. وذكر المقرئ أن الجهة الغربية من القاهرة والمطلّة على الخليج لها بابان، هما: سعادة، والفرج، وبابٌ ثالث بعد عصر جوهر هو باب الخوخة^(٥١).

المنشآت الأخرى:

وصف ناصر منازل القاهرة ونظافتها، بحيث بدت وكأنها قد بُنيت من الجواهر وليس من الحِصّ والآجر. وكانت المسافات بينها كافية بحيث إن الأشجار لا تنمو على أسوار البيت المجاور، وكان بإمكان كلِّ مالك أن يقوم بأعمال الترميم أو الهدم دون أن



(لوحة ٢) باب النصر، عن دون فرنك ديبلون.

صحبة أفتكين المعزي^(٤٦). حارة المصامدة: وتُنسب إلى طائفة من عساكر الخلفاء الفاطميين. وترجع نشأتها إلى زمن الحاكم بأمر الله حيث عمل بابًا عرف بالجديد خارج باب زويلة، فاختمت المصامدة حارة لهم عنده^(٤٧)، ويؤكد ذلك ما ذكره ناصر من وجود حارة لهم عند وصفه لحارات القاهرة. حارة الأمراء: وأطلق أيضًا على حارة الديلم لسكناهم بها^(٤٨). حارة برجوان: وهو أحد الخدّام وأصبح مُدبّرًا للحاكم حتى تسلّم الحكم وقتله في عام ٣٨٩هـ، وإليه تُسبت الحارة^(٤٩). حارة الباطلية: وتُسبت إلى جماعة عُرفوا بهذا الاسم منذ وصول المُعز إلى مصر^(٥٠). حارة الروم: اختطّها الروم، ونزلوا بها^(٥١). ومنها -أيضًا- حارة عبيد الشرا، وذكر ناصر وجود حارة خاصة بهم، واختلفت آراء المصادر حول اسمها^(٥٢). حارة الجوردية: أوردها ابن عبد الظاهر، والجوردية: نسبة إلى جماعة كانوا نحو ٤٠٠ رجل ينسبون إلى جوذر خادم المهدي العبيدي. وارتفعت مكانة أبي علي منصور الجوزري زمن العزيز والحاكم، وكذلك الجوزري الصقلي^(٥٣). وهو ما يؤكد ما ذكره ناصر من وجود حارة لهم زمن المستنصر بالله.

يضايق جاره. أما المنزل الذي استأجره فكان منزلًا مساحته ٢٠ ذراعًا في ١٢ ذراعًا مكونًا من أربعة طوابق، ثلاثة منها مسكونة، والرابع خالٍ، فعرض ناصر على صاحبه خمسة دنائير كأجرة شهرية، ولكنه رفض متعللاً بأنه يلزمه أن يقيم به أحيانًا. ويعلق بأنه لم يأت سوى مرتين خلال السنة التي أقام بها^(٥٤).

عدّ ناصر الدكاكين التي كانت ملكًا للسلطان في القاهرة بما لا يقل عن عشرين ألفًا يُوجرها ما بين عشرة دنائير مغربية ودينارين. فلم يكن أحد يملك عقارًا غير المنازل. وسمع أن للسلطان ثمانين ألف بيت في القاهرة ومصر، وكان يُوجرها ويحصل على أجزتها دون إجبار شخص على ذلك، كما كان بها الأربطة والحمامات والأبنية الأخرى^(٥٥).

حارات القاهرة:

عدّد ناصر حارات القاهرة بعشر، وهي التي أنشئت عند دخول جوهر الصقليّ مصرَ وتشبيده القاهرة، واختمت كل قبيلة حارة لها، ومنها حارة زويلة: المنسوبة إلى قبيلة زويلة، أو إلى امرأة تحمل هذه الاسم^(٥٦). حارة قصر الشوق: وأدخلها جوهر في القصر، وكان يُعرف بقصر الشوك إلا أنّ العامة تسميه قصر الشوق^(٥٧). حارة الديلم: والمقصود بهم الديلم الواصلين

وصفه مدينة مصر (الْفُسْطَاط)

انتقل ناصر إلى الحديث عن مدينة مصر^(٥٤) فذكر أنها تقع على رِبوة، وجانبها الشرقي جبليّ يتكون من جبال غير عالية كالتلال خشبية فيضان نهر النيل عليها، وقد سُوّيت هذه الربوة بعد ذلك، أما الأماكن الأخرى التي لم تسوّف فكان يُطلق عليها عَقبة. وتبدو مصر (الْفُسْطَاط) كأنها جبل إذا ما نظرت إليها من بعيد، وهي ممتدة على شاطئ النيل الذي عليه القصور والمناظر الكثيرة^(٥٥). ويضيف ناصر: وأمام الفسطاط جزيرة كان عليها مدينة في وقت ما، وبها مسجدٌ مُجمعةٌ وحدائق، وينقسم النهر عندها قسمين حيث يبطن في جريانه. وكان يُعبر إليها عن طريق جسر مكون من ٣٦ سفينة رُبط بعضها إلى جانب بعض^(٥٦). أما الجزيرة فهي في الجهة المقابلة منها، وبها مسجدٌ مُجمعةٌ أيضًا، ويعبر الناس إليها بالزوارق، وهي كثيرة في مصر أكثر مما في بغداد أو البصرة. ويذكر المقرئ أن المدينة الكبرى بأرض مصر ذات أربعة أجزاء، وهي: الفُسطاط، والقاهرة، والجزيرة، والجزيرة^(٥٧).

مساجد القاهرة ومدينة مصر

أشار ناصر إلى اهتمام السلطان بالمساجد سواءً في مصر أم في بلاد الشام، حيث خصص لها نفقات يقدمها وكيل السلطان في هذه البلاد التابعة للسلطان، واشتملت على زيت السرج والحصير وسجاجيد الصلاة ورواتب العاملين بها^(٥٨). وفي أثناء حديثه عن مساجد القاهرة حدّد بها أربعة مساجد مُجمعة، وهي: الأزهر، النور، الحاكم، المعز، مشيرًا إلى أن الأخير خارج القاهرة على شاطئ النيل^(٥٩). واكتفى ناصر بهذه المعلومات عن مساجد القاهرة دون أن يزودنا بمعلومات أخرى عنها.

أما جامع النور فلم أعر في المصادر المتاحة عن هذا الاسم، وربما كان يقصد الجامع الأنور^(٦٠). كما أن الجامع الذي نسبته إلى المعز لم يرد في هذه المصادر، وكان أول جامع هو الجامع الأزهر^(٦١). أما الفسطاط فذكر أن عدد الجوامع بها سبعة، ولم يذكر أين تقع باقي الجوامع في إحصائيته التي قدمها، وذكر أن عددها في القاهرة ومصر هو ١٥ جامعًا، وهي التي تقام فيها صلاة الجمعة والخطبة^(٦٢).

جامع باب الجوامع/ الجامع العتيق الذي شيّده عمرو بن العاص في عام ٢١هـ. أمَدَّنَا ناصر بمعلومات هامة انفردَ بها، فقد ذكر أن عدد ما به من أعمدة يبلغ ٤٠٠ عامود، وجدرانه من الرخام الأبيض وعليها آيات من القرآن الكريم. كما ذكر أن الحاكم بأمر الله اشتراه من أحفاد عمرو بن العاص، ودفع لهم

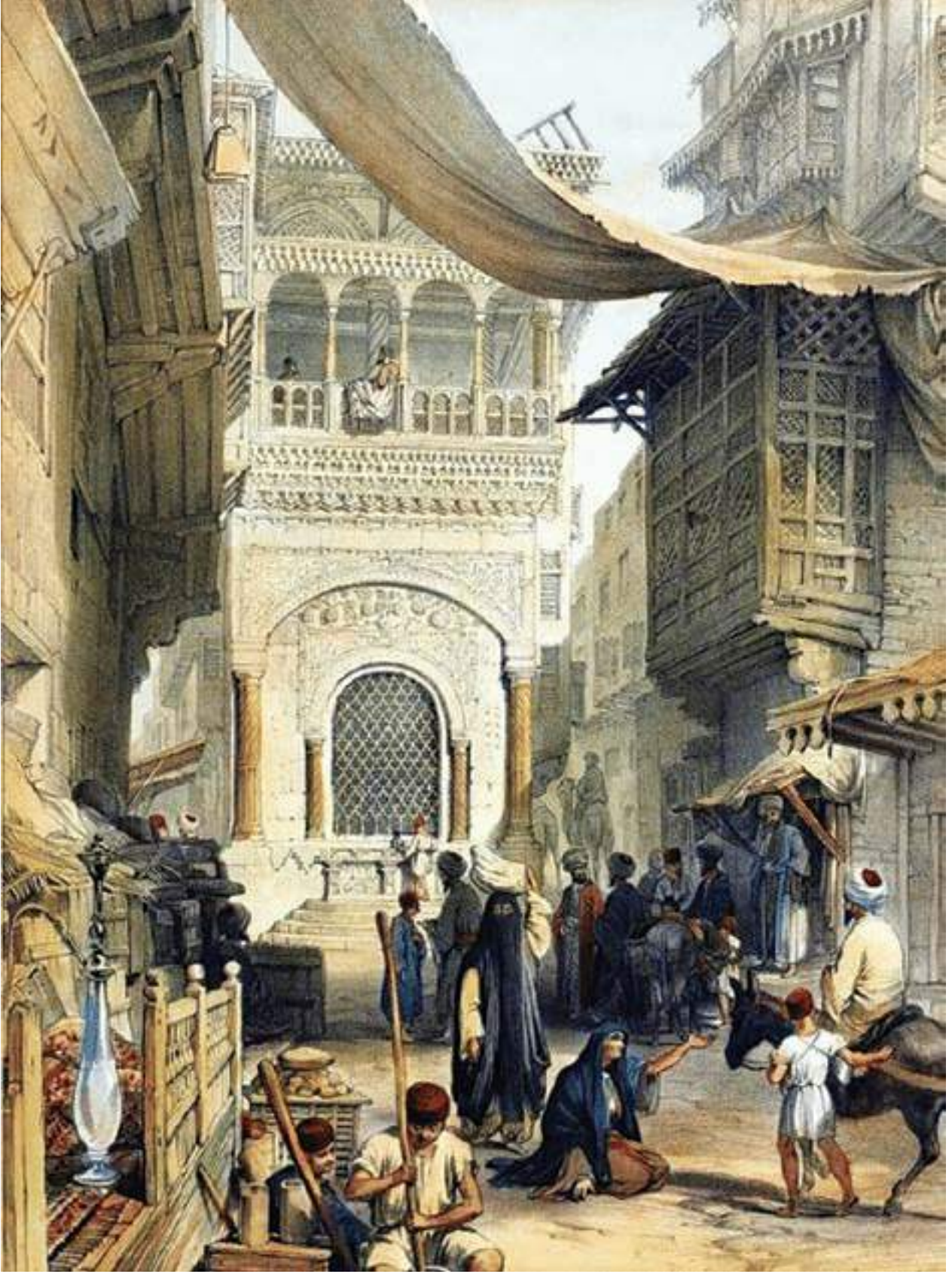
مائة ألف دينار، وأشهد على ذلك كل أهل مصر، وزود الجامع بما يحتاج إليه من فرش الحصير الذي كان من عشر طبقات ملونة، إضافةً إلى الثرّيّا المستخدمة في الإضاءة التي قُدِّرَ وزنها بحوالي ٢٥ قنطارًا من الفضة، والتي قاموا بخلع أحد أبواب المسجد لإدخالها، ثم أُعيد إلى مكانه، وكان يُضاء كل ليلة بأكثر من مائة قنديل^(٦٣). ويؤكد ياقوت الحمويّ هذه الإصلاحات مضيّفًا ما قام به الحاكم من بياض المسجد، وقلع ما فيه من الفسيفساء وتبييض مواضعه^(٦٤). كما أضاف ابن عبد الظاهر أن الحاكم وضع به ٤٤٠ ختمة مذهبة كبار و٤٧٠ ربة مذهبة إضافةً إلى التنور المشار إليه^(٦٥).

أورد ناصر تفاصيل لم ترد في المصادر الأخرى عند حديثه عن جامع ابن طولون؛ حيث إن الحاكم بأمر الله اشترى الجامع من أحفاد ابن طولون مقابل ٣٠ ألف دينار، ثم أرادوا هدم مئذنته، فأرسل إليهم الحاكم لمعرفة السبب، فقالوا إنهم باعوا الجامع فقط، فأعطاهم خمسة آلاف دينار مقابلها^(٦٦).

وأشار ناصر إلى أن السلطان كان يصلي في هذا الجامع طوَال شهر رمضان وأيام الجمع من بقية الشهر، وهو ما يُمثّل إضافةً هامة عمّا ورد في المصادر من أنه منذ زمن الحاكم بأمر الله أُقيمت الخطبة في جامع الأزهر، وأخرى في جامع ابن طولون، يخطب جمعة في الجامع الأزهر، وأخرى في جامع ابن طولون، وثالثة في جامع مصر^(٦٧).



(لوحة ٣) مسجد خاير بك بباب الوزير، عن والتر سينسر ستانهورب.



(لوحة ٤) سوق النحاسين، عن أوين براون كارتير.

سكان مدينة مصر

ذكرنا أن الجامع العتيق كان مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة؛ حيث بلغ عدد من به من طلاب العلم والغرباء والكتاب الذين يجزرون الصكوك والعقود وغيرها نحو خمسة آلاف، كما كان به مجلس القاضي. كما أشار إلى المعلمين المهرة في نحت الأشكال المختلفة من البلور، ومن يقومون بصناعة

الفخار المصري، وكذلك التجار، والبقالون، والبطارون، وبائعو الخردوات. ولاحظ ركوب أهل السوق في ذهابهم وإيابهم، ولم يكن يركب الخيل سوى الجند والعسكر والعلماء. ووصف غنى أهل مصر، ودل على ذلك بأسواق المجوهرات أثناء احتفال السلطان بميلاد ابنه وعدم وجود أماكن للجلوس في محلات المجوهرات^(٦٨).

أورد ناصر تفاصيل مهمة عن الزراعة في القاهرة ومصر انفراد بذكرها، ولم ترد في المصادر الأخرى. فقد لاحظ وجود البساتين والأشجار في قصر السلطان، وكانت تُسقى بالسواقي، كما عُرسَت الأشجار فوق الأسطح، فصارت متنزهات. أما المنازل فكان بينها مساحات واسعة تكفي لنمو الأشجار بحيث لا تنمو على سور المنزل المجاور. أما في حديقة السلطان التي تُسمى حديقة عين شمس فيوجد بها مياه عذبة سُمي البستان باسمها، كما أن بها شجرة البلسان التي أتى الفاطميون ببذرتها من المغرب وزرعوها بها، ويُستخرج الزيت منها ليُباع إضافةً إلى عُصونها ولحائها^(٧٤).

أما في مدينة مصر فقد سَمِعَ ناصر من أحد الثقات أن أحد الأشخاص زرعَ فوق سطح بيته المكون من سبعة أدوار حديقة، كما وضعَ عَجلاً يدير ساقية لرفع الماء لِرِيَّهَا! وهناك طريقة أخرى رآها ناصر في الحصول على ما يحتاج إليه الشخص الذي يرغب في غرس حديقة، وذلك بأن يذهب إلى تجار لديهم شتلات هذه الأشجار والثمار التي من جميع المواسم، ثم يقوم بنقلها إلى حديقته ويزرعها إما بالأصص أو بالشتلات دون أن يلحقها أذى. ويعلِّق ناصر أنه لم يرَ مثيلاً لذلك في أي مكان آخر، ولم يسمع به أيضاً^(٧٥). ومما ذكره ناصر أيضاً: استخراج أنواع مختلفة من الزيوت مما يزرع في مصر، ومنها الزيت الحار المستخرج من بذور الفُجُل واللفت، وكذلك زيت السمسم وهو قليل، وزيت الزيتون وسعره رخيص^(٧٦). ويُعدُّ ناصر ما رآه في يوم واحد من الفواكه والرياحين، وكان منها ما ينبت في الربيع والصيف والشتاء، فتعجب من ذلك، وأرجع السبب إلى أن ولاية مصر بها كل أنواع الجو البارد والحار^(٧٧).

الصناعات:

إضافةً إلى ما وصفه ناصر من صناعات النسيج في تَنِيْس، فقد وصف ما يلبسه السلطان، وحامل مِظَلَّتِه، والمِظَلَّة التي يحملها والتي تصنع خصوصاً للسلطان. كذلك وصف ما رآه في سوق القناديل الذي فيه كلُّ ما في العالم من طرائف. ووصف الصُّنَاع الذين ينحتون البلور الذي كان يأتي من بحر القلزم، وهو أكثر شفافية من الذي يأتي من المغرب.

ووصف أيضاً التِّعَال المصنوعة من جلود البقر الحبشي، وأشاد بصناعة الفخار الذي تنوعت أشكاله من الكؤوس والأقداح والأطباق ذات الألوان المختلفة، وكذلك القوارير الصافية. كما أشاد بما يُنسج من حرير وخبوطه، وكذلك قُدور التُّحاس التي

أوضح ناصر كيفية حصول السكان في القاهرة على مياه الشرب، وذكر أن السفائين يقومون بنقلها من النيل على الجِمال أو من الآبار القريبة ذات المياه العذبة وأحياناً تكون مالحة إذا كانت بعيدة. وذكر أن عدد الجِمال التي يحمل عليها السَّقَاءون الرِّوَايا يبلغ ٥٢ ألف جملي، إضافةً إلى مَنْ يحمل الجِرَار التُّحاسية أو القَرَب إلى الحارات الضيقة التي لا تدخلها الجِمال. أما في مدينة مصر فقد كانت تُرفع المياه من النيل بالحبال إلى القصور والمناظر على شاطئيه. وفي المدينة استُخدمت أيضاً الجِمال في حمل الأواني والقَرَب، وكانت تُؤجرها امرأة لها نحو خمسة آلاف قدر مقابل درهم في الشهر شريطةً أن يعيدها المستأجر سليمة^(٧٨).

النشاط الاقتصادي

التجارة:

لاحظ ناصر منذ وصوله إلى بلاد الشام تحصيل المُكُوس في طرابلس التي كانت تابعةً للسلطان الفاطمي، وذلك على السفن الواردة من مختلف البلدان، بل كانت له أيضاً سفن تجارية تُبحر إلى بلاد الروم وصقلية والمغرب للتجارة، ومنها كان يدفع نفقات الجند المقيمين في طرابلس^(٧٩). كما لاحظ أيضاً تلك السفن المُرابطة في تَنِيْس والتي تصل إلى ألف سفينة، منها ما هو للتجار وكثير منها للسلطان. وذكر أن المدة التي تبحر فيها السفينة إلى القسطنطينية هي عشرون يوماً. كما أشار إلى استخدام السفن النيلية في حمل البضائع في مدينة مصر حتى أبواب دكاكين البقالين^(٨٠). كما أن السفن تحمل الفاكهة من الإسكندرية إلى مدينة مصر. أما صقلية التي كانت ملكاً لسلطان مصر، فقد كان يُجلب منها الكتان الرقيق والثياب المنقوشة، إضافةً إلى تلك السفينة التي تصل إلى مصر حاملةً المال المفروض عليها^(٨١).

أما أملاك السلطان التي في القاهرة - ومنها الدكاكين التي لا تقل عن ١٢٠ ألفاً - فقد كان منها ما يُؤجر بعشرة دنانير مغربية وأقلها بدينارين في الشهر. كما ذكر أنه قد سمع أن للسلطان نحو ثمانية آلاف بيت في القاهرة ومصر يقوم بتأجيرها إلى الناس دون إجبارهم على ذلك. وفي إحصائية أخرى عن السفن التي كانت ملكاً للسلطان ولها حوض خاص في النيل، يذكر أن عددها كان ٢١ سفينةً، طول كل واحدة منها خمسون ذراعاً وعرضها عشرون ذراعاً، وهي مزينة بالذهب والفضة والجواهر^(٨٢).

من لمعانها تظن أنها من الذهب. كما وصفَ جلوس الحَيَّاطين والرَّقَائِين في مكان يُسَمَّى رباط دار الوزير، وقيل إن عددها في مدينة مصر يبلغ حوالي مائتين^(٧٨).

أنهى ناصر خسرو وصفه لمصر بذكر طريق عودته عبر رحلة في النيل، حيث أدّى صلاة العيد في القاهرة وغادرها على متن سفينة في (١٤ من ذي الحجة ٤٤١ هـ / ١٠ إبريل ١٠٥٠م)، حتى وصل إلى عيذاب في (ربيع الأول ٤٤٢ هـ / أغسطس ١٠٥٠م)، ومنها أبحر إلى جدة ليُنهي بذلك وصفه لمصر الذي يعد مصدرًا مهمًّا لدارسي تاريخها في هذه الفترة من عصر المستنصر بالله، وقبل أن تحل بمصر الشدة العظمى التي أدت إلى مرحلة من الاضمحلال في نهاية حكمه^(٧٩).

الخاتمة

- على الرغم مما اعتقده البعض عن مبالغة ناصر خسرو فيما كتبه عن مصر خلال المدة التي قضاها بها، فإن عباراته التي كررها توضّح منهجه فيما كتبه، فقد حرص على أن يسجل ما رآه بنفسه وينقل ما سمعه، ويحيل ذلك إلى مَنْ حكى له. ويؤكد في عباراتٍ أخرى أنه ينقل عن الثقات. ومن ناحية أخرى، فإن رحلته لم تصل إلينا كاملة، ويتضح ذلك من كثير من العبارات، وهو ما أكدّه أيضًا مترجم الرحلة يحيى الخشاب.

- لاحظ الباحثُ دقة عباراته في تحديد وصفه «الولاية مصر» التي حرص على ذكر امتدادها الجغرافي، وكذلك ما هو خاضعٌ لها خارج هذه الحدود، مثل: طرابلس وعيذاب وصقلية. وعند حديثه عن «مدينة مصر» كان يقصد الفُسطاط وما كان في إطارها من عواصم مصر حتى إنشاء القاهرة. وكذلك وصف الصعيد بأنه ولاية، ووصف طُرقه التي مرّ بها حتى أسوان.

- انفراده بذكر روايات تاريخية هامة عن بناء القاهرة المُعزِّيّة، وكذلك عن عصر الحاكم بأمر الله دون أن يحدد لنا مصادره في ذلك. كما وصف تلك السفن التي ذكر أن المعز قدّم بها إلى القاهرة وكانت لا تزال راسيةً، وحدد أبعادها. وهي أيضًا رواية انفردها دون أن نجد لها في المصادر الأخرى.

- دقته في وصف المجتمع المصري بمختلف طبقاته بدءًا بالسلطان المستنصر بالله حيث وصفه وصفًا دقيقًا، ووصف ملابسّه ومواكبه المختلفة التي كان يُشارك فيها ويطلب أن يراها مثل مائدة السلطان في عيد الفطر. كما وصف عيد كسر الخليج ومواكب المشاركين فيه من مختلف الطبقات. أما المرأة فلم يزودنا إلا بإشارات مُقتضبة عنها، وإن كانت

إشارته إلى تلك المرأة التي كانت تمتلك القُدور الحُحاسيَّة وتُوجِّرها، لها دلالتها على السماح للمرأة بالتجارة، وهو على عكس ما كان في زمن الحاكم بأمر الله. كما أمَدنا بإحصائيات دقيقة عن أملاك السلطان ودخله منها. إضافة إلى ما رآه من عدله في معاملته لرعيته، ونفقتة على أرزاقهم.

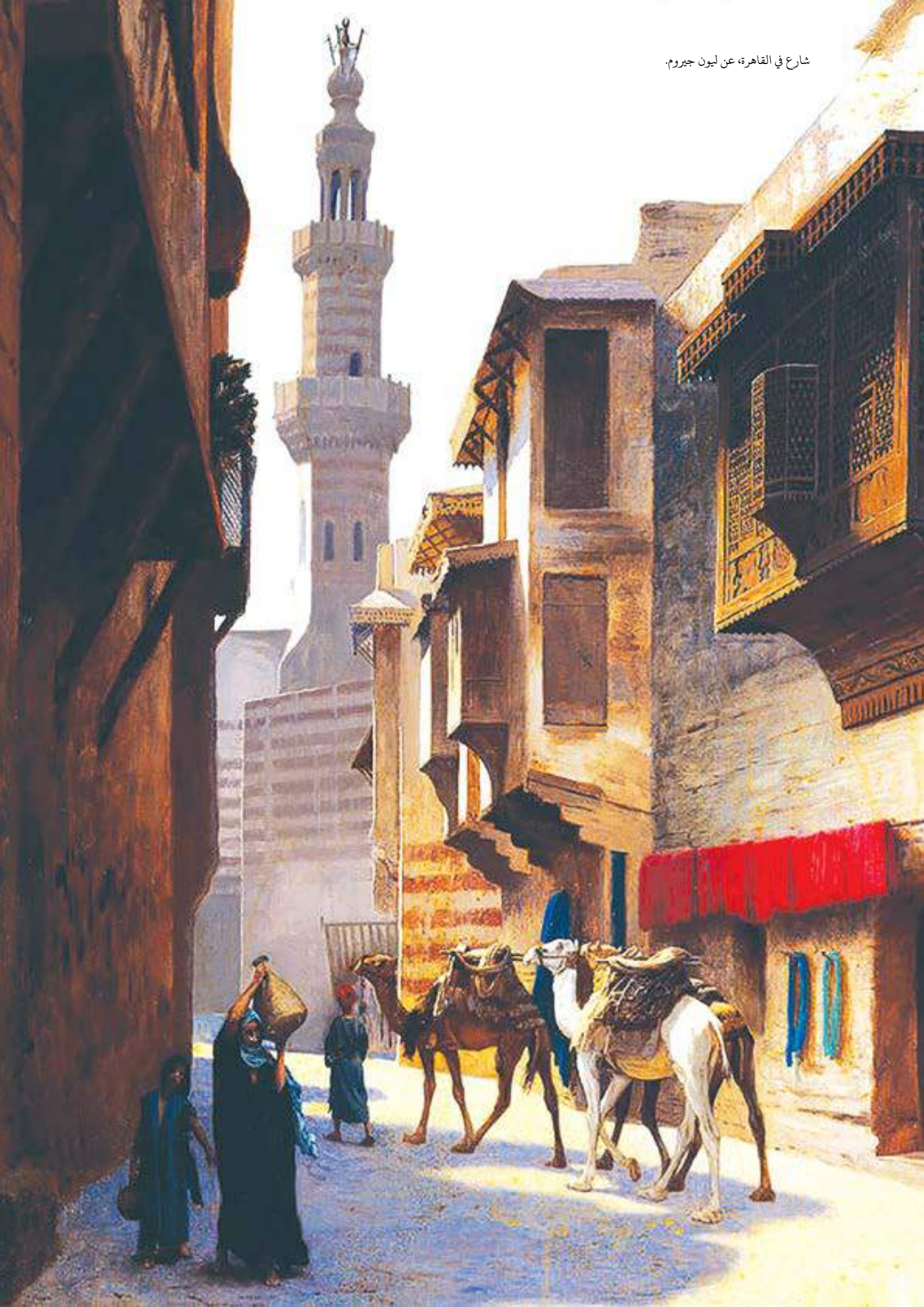
- زودنا بمعلومات هامة عن منشآت القاهرة المستنصرية، ومنها أسماء أبواب قصر السلطان في أثناء وجوده بمصر، وكذلك أبواب القاهرة الخمسة التي اتضح أنها كانت موجودة على عكس ما ورد في المصادر الأخرى من أنها بُنيت في فترة لاحقة، ومنها أبواب زويلة، والنصر، والفتوح. كما أن حارات القاهرة العشر التي ذكرها يتضح دقته في ذكرها؛ حيث إن منها ما أنشئ في زمن المعز، ثم العزيز، ثم الحاكم بأمر الله.

- تحدّث عن مساجد القاهرة ومصر، وحددتها بخمسة عشر جامعًا، ولم يذكر سوى أسماء سبعة في الفُسطاط وأربعة في القاهرة، مع اختلاف اسم اثنين منها، وهما: جامع النور -والذي أرجح أنه: الأنور-، والثاني: جامع المعز، الذي لم يعثر الباحث عليه فيما هو متاح بين يديه من المصادر. كما ذكر وجود جامع في الجزيرة المقابلة للفُسطاط واثنين في الجزيرة -دون تحديد أسمائها-. وبذلك يكون مجموعها، أربعة عشر جامعًا.

- واللافت للنظر ما ذكره من تفاصيل عن جامع عمرو بن العاص وابن طولون وهما لم يكونا من مراكز الشيعة، ولكنه أشار إلى شراء الحاكم بأمر الله لهما من ورثتهما، وما أضافه الحاكم بأمر الله إليهما من تحسينات لم ترد في المصادر الأخرى.

- وفيما يتعلق بأوجه النشاط الاقتصادي نلاحظ غزارة المعلومات التي أمَدنا بها عن التجارة أو الصناعة أو الزراعة ومصادر المياه في القاهرة ومدينة مصر، وكذلك في تَنْبِيس وطرق الزراعة وخاصة نظام الشتلات والحدايق المزروعة فوق أسطح المنازل الذي انفرده به مصر؛ وكذلك الزيوت المستخرجة من المحاصيل واستخدامها في الإنارة.

- تمكن ناصر خسرو من تقديم صورة للقاهرة المستنصرية من جميع جوانبها في تلك المدة التي أمضاها بها على الرغم من عدم وصول رحلته كاملةً، وتزداد أهميته في ضوء قلة ما وصل إلينا من مصادر العصر الفاطمي.



الهوامش

* أستاذ تاريخ العصور الوسطى، قسم التاريخ، جامعة الإسكندرية.

(١) عن أقسام الرحلة الثلاثة انظر: يحيى الحشاش، «مقدمة: الحياة السياسية في الشرق الإسلامي أيام ناصر خسرو»، في سفر نامة، تأليف ناصر خسرو علوي، ترجمة يحيى الحشاش، ط. ٢، الألف كتاب الثاني ١٢٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣): ٢٤-٢٥؛ رمزية حمزة، «حسن الجوانب الحضارية في سفر نامة ناصر خسرو»، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ٨، العدد ٢٥ (٢٠١٦): ١٩٢-١٩٧.

(٢) ناصر خسرو، سفر نامة، ترجمة يحيى الحشاش، ط. ٢، الألف كتاب الثاني ١٢٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣): ٣١٨.

(٣) عن رأي أيمن فؤاد، انظر: أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد، مكتبة الأسرة. سلسلة العلوم الاجتماعية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧): ٤٤.

(٤) سهيلة مزبان حسن، «مقاييس المياه في العصر العباسي»، حولية الاتحاد العام للآثاريين العرب: دراسات في آثار الوطن العربي ١٢، العدد ١٢ (٢٠٠٩): ٨٣٤-٨٤٥، مقالة إلكترونية متاحة عبر الإنترنت، https://cguaa.journals.ekb.eg/article_38829_2ef35afd6ab77ab9473e9f77460f73.pdf.

(٥) خسرو، سفر نامة: ٩٥-١٠١. والفرسخ يساوي نحو ثلاثة كيلو مترات.

(٦) راجع القسم الخاص برحلة حجه سواء عن الطريق البري أم البحري.

(٧) تدل هذه العبارة على دقته في تحديد حدود ولاية مصر وما يتبعها والمناطق المتاخمة لها، وهو ما يمكن أن نطلق عليه اليوم الجغرافيا السياسية.

(٨) يحيى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان ابن عبد الظاهر السعدي المصري (ت ٦٩٢ هـ)، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق وتقديم وتعليق أيمن فؤاد سيد (القاهرة: مكتبة الدار العربية، [١٩٩٦]). ويضيف ناصر تفسيراً جديداً لتسميتها بالقاهرة، لأن الجيش كان قاهراً. وأورد أبو المحاسن التفسيرات الأخرى حول التسمية مرجحاً قصة المنجمين، انظر: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن سيف الدين تغري بردي الأتابكي الشيشقاوي الظاهري (ت ٨٧٤ هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، مج. ٤ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢): ٤٣-٤٤.

(٩) لم ترد رواية عبور الكلب الأسود قبل الجيش سوى لدى ناصر، ولم يُحدد مصدرها. وعن الروايات الأخرى التي أشارت إلى عبور جعفر بن فلاح في زورق ومعه جماعة أخرى سباحة، راجع: المرجع السابق، مج. ٤: ١٢، ٦٢. أما ما ذكره ناصر عن هذه السفن السبع ووجودها حتى رؤيته لها فيعد إضافة جديدة لم ترد في المصادر الأخرى.

(١٠) أشار ناصر إلى وجود عدد من السفن راسية في حوض أشبه بإسطنبول الخليل الخاص بالسلطان، وهي التي يطلق عليها العشاريات، للمزيد عنها وعن أنواع السفن الأخرى راجع: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد الحسيني العبيدي المقرئ (ت ٨٤٥ هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مج. ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ). وكان لكل منها رئيس ونواتية لا يبرحونها.

(١١) تمثل رواية ناصر إضافة جديدة حول قدوم المعز بهذه السفن، دون أن يوضح لنا مصدره. وهي على الأرجح السفن التي عبر بها نهر النيل ثم تركت في مكانها، كما أوضح. وقدم الدكتور درويش النخيلي تعريفاً جامعاً للعشاريات، وغاب عنه وصف ناصر خسرو لها. للمزيد انظر: درويش محفوظ النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم (الإسكندرية: جامعة الإسكندرية، ١٩٧٤): ٩٥-٩٨.

(١٢) خسرو، سفر نامة: ١٠٢، هامش ٩.

(١٣) تُنسب هذه الثياب إلى ديبق أو ديبق، وهي من قرى مصر قرب تَنْيس. اشتهرت زمنَ العزيز بالله بصنع هذا النوع من الثياب التي كان يبلغ ثمنها نحو خمسمائة دينار، وربما بلغ ناصر في تقدير ثمن ثوب الخليفة، وللمزيد انظر: المقرئ، المواعظ والاعتبار، مج. ١: ١٧٤؛ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، معجم البلدان، مج. ٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥): ٤٣٨.

(١٤) كان الحاكم بأمر الله قد أمر الناس بالوقوف والسجود له إذا ذكر اسمه وذلك في عام ٣٩٧ هـ، ثم عاد ونهى أن يُحاطب بمولانا، ونهى عن تقبيل الأرض له في عام ٤٠٠ هـ، انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مج. ٤: ٢١٤، ٢٢٣. وما ذكره ناصر هنا يختلف قليلاً، مشيراً إلى أنه فقط عند اقترابه منهم مع الدعاء له.

(١٥) خسرو، سفر نامة: ١٠٢.

(١٦) تعددت المصطلحات المستخدمة للدلالة على صاحب الخبر أو الجاسوس وكذلك القَمَاز. انظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر ابن محمد الحسيني العبيدي المقرئ (ت ٨٤٥ هـ)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، مج. ٣، تحقيق محمد حلمي أحمد (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية، ١٩٧٣): ١٦٨؛ هبة الغوري، صاحب الخبر في الدولة الفاطمية (د.م): عالم الكتب للنشر الحديث، ٢٠١٦.

(١٧) خسرو، سفر نامة: ١٢١. وذكر في معرض حديثه أن السلطان من أبناء أمير المؤمنين الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو ما أثار جدلاً بين المؤرخين قدامى ومحدثين. وعند سؤال المعز عن قدومه إلى مصر عن ذلك، جرد سيفه إلى نصفه، وقال: هذا نسبي، ثم فرق المال عليهم، وقال: هذا حسبي، فقالوا: سمعنا وأطعنا. ورد أيضاً موقف لأحد المصريين الذي أرسل إليه أبياتاً من الشعر يشكك في نسبه، انظر: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري النويري (ت ٧٣٣ هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، مج. ٢٨-٢٩، تحقيق نجيب مصطفى فواز، وحكمت كشلي فواز (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤): ٨٨؛ سيد، الدولة الفاطمية: ٣٢-٤٠.

(١٨) ذكر النويري أن المستنصر كان له عدة أبناء إضافةً إلى نزار ابنه الأكبر وأبي القاسم أحمد الأصغر، وهما: أبو القاسم محمد وأبو الحسين جعفر. وربما تشير رواية ناصر إلى أحدهما، ولم يعرف تاريخ مولدهما، انظر: النويري، نهاية الأرب، مج. ٢٨: ١٥٥-١٥٧.

(١٩) خسرو، سفر نامة: ١٠٩-١١٠.

(٢٠) هذا العدد من خلال ما ذكره ناصر عن عدد كل فرقة، أما فرقة أبناء الملوك فلم يحدد عدداً لها، انظر: المرجع السابق: ١٠٩-١١١.

(٢١) المقرئ، المواعظ والاعتبار، مج. ٢: ١٣٥-١٣٨.

(٢٢) اعتمد الفاطميون الحساب الفلكي في تحديد رؤية الهلال، وفي عام ٣٩٧هـ سمح الحاكم بأمر الله بصوم الصائمين على حسابهم، ولا يُعارض أهل الهلال فيما هم عليه من الصيام والفرط، وكان ذلك استثنائيًا، انظر: المقرئزي، *اتعاظ الحنفا*، مج. ١: ١٣٨؛ مج. ١٦: ٢٠٦. أما البوقلمون فهو نوع من القماش اشتهرت به مدينة تَنيس، ووصف ناصر مختلف ما يُصنع منه للسلطان وحاشيته، انظر أيضًا: ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، مج. ٢: ٥١؛ خسرو، *سفر نامه*: ١٢٢، ١٢٣؛ المقرئزي، *اتعاظ الحنفا*، مج. ١: ١١٦.

(٢٣) حدد ابن عبد الظاهر الدخول إلى مطبخ القصر من باب الزهومة، ومعناه: باب الزفر، وسُمِّي بذلك، لأنه لا يدخل اللحم ولا الحوائج إلا منه، انظر: ابن عبد الظاهر، *الروضة البهية*: ٥٨.

(٢٤) اختلفت أنواع الاحتفالات المصاحبة لعيد كسر الخليج أو فتح الخليج، انظر: المرجع السابق: ١١٠؛ ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، مج. ٤: ٢٥٤؛ منى حسن، «الاحتفالات والأعياد في مصر خلال العصر الفاطمي»، *مجلة كلية الآداب، جامعة الزاوية*، العدد ٢٩ (يونيو ٢٠٢٠): ٤٢٢-٤١٦.

(٢٥) عُرف أيضًا بَدْرَب شمس الدولة والمدرسة المسرورية، انظر: ابن عبد الظاهر، *الروضة البهية*: ٢١؛ ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، مج. ٤: ٥٢.

(٢٦) للمزيد انظر: ابن عبد الظاهر، *الروضة البهية*: ٢١، ٤٢؛ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (ت ٨٢١ هـ)، *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*، مج. ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.): ٣٠٩، ٥١.

(٢٧) اختلفت آراء المؤرخين حول موقف الحاكم بأمر الله من المرأة وما أصدره من سجلات في هذا الشأن، وللمزيد انظر: محمد يونس، وراميا جامع، «مراسيم الحاكم بأمر الله وعلاقته مع أهل الذمة، ٣٨٦-٤١١ هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠ م»، *مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية*، العدد ٦، الآداب والعلوم الإنسانية (٢٠١٨): ٢٣١-٢٥١.

(٢٨) وسن سمين محمد أمين، «السيدة رصد ودورها في الحياة السياسية للدولة الفاطمية»، *مجلة الباحث*، العدد ٢ (٢٠١٢): ١٧٧-٢١٠، مقالة إلكترونية، <https://www.slideshare.net/khanzadbrz/ss-48112062>.

(٢٩) خسرو، *سفر نامه*: ١٢١.

(٣٠) المرجع السابق: ١٢٤. ويضيف ناصر أن ثروته لا يعلم مداها إلا الله، وكان على سقف داره ثلاثمائة جرة من الفضة زرع في كل منها شجرة كأنها حديقة مثمرة! ويذكر النويري أن ثلاثة من الأتراك هم الذين تَوَلَّوْا قتلَه، ولكن الجند الترك هم الذين أعلنوا مسئوليتهم الجماعية عن ذلك ما جعل المستنصر يحجم عن معاقبتهم خشية التمرد الجماعي الذي حدث، انظر: النويري، *نهاية الأرب*، مج. ٢٨: ١٣٧-١٣٨.

(٣١) المقرئزي، *اتعاظ الحنفا*، مج. ٢: ٥١.

(٣٢) المرجع السابق.

(٣٣) انظر أيضًا: ابن عبد الظاهر، *الروضة البهية*: ١٦-١٨. ويوجد اختلاف في الأسماء بين ما أورده ناصر في زمن المستنصر والمصادر الأخرى.

(٣٤) خسرو، *سفر نامه*: ١٠٤-١٠٥.

(٣٥) قارن أيضًا: ابن عبد الظاهر، *الروضة البهية*: ٦٢-١٠٢.

(٣٦) المرجع السابق: ١٠٢.

(٣٧) أضاف ابن عبد الظاهر أن الخليفة وأهلَه من النساء كانوا يخرجون من باب القصر أو باب مراد الذي يُفتح فقط في يوم كسر الخليج، انظر: المرجع السابق: ١١٠؛ ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، مج. ٤: ٥٤، هامش ٣.

(٣٨) خسرو، *سفر نامه*: ١٠٦.

(٣٩) وانظر أيضًا: المقرئزي، *المواعظ والاعتبار*، مج. ٢: ٢٠٥. وأضاف أسماء أبواب أخرى بعد الدولة الفاطمية وما كان موجودًا من أثرها.

(٤٠) انظر أيضًا: ابن عبد الظاهر، *الروضة البهية*: ١١٠.

(٤١) المقرئزي، *المواعظ والاعتبار*، مج. ٢: ٢٠٥.

(٤٢) خسرو، *سفر نامه*: ١٠٤؛ سيد، *الدولة الفاطمية*: ٣٤٢، ٣٤٣.

(٤٣) المرجع السابق: ١٠٣-١٠٤.

(٤٤) ذكر ناصر أنها عشر محلات، وكانوا يسمون المحلة حارة، انظر: المرجع السابق: ١١٣-١١٥؛ ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، مج. ٤: ٤٣-٤٨، ٥١.

(٤٥) المقرئزي، *المواعظ والاعتبار*، مج. ٢: ٢٨٣-٣٣٧.

(٤٦) المرجع السابق: ١١٩-١٢٠.

(٤٧) ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، مج. ٤: ٥٢.

(٤٨) ابن عبد الظاهر، *الروضة البهية*: ٤٢؛ المقرئزي، *المواعظ والاعتبار*، مج. ٣: ١٩٨.

(٤٩) ابن عبد الظاهر، *الروضة البهية*: ٦٢-٦٣.

(٥٠) ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، مج. ٤: ٤٤.

(٥١) المرجع السابق.

(٥٢) ابن عبد الظاهر، *الروضة البهية*: ١٢٢-١٢٣.

(٥٣) المرجع السابق: ٥٤-٥٥.

(٥٤) أطلق علي بن رضوان اسم المدينة الكبرى في أرض مصر على القُسطاط والقاهرة والجزيرة والحيزة، للمزيد انظر: أبو الحسن علي بن رضوان ابن علي بن جعفر المصري (ت ٤٦٠ هـ)، *دفع مضار الأبدان بأرض مصر*، دراسة وتحقيق عبد المجيد دياب (الكويت: مكتبة ابن قتيبة، ١٩٩٥): ١٥٥-١٦٠.

(٥٥) خسرو، *سفر نامه*: ١٠٨-١١٩.

(٥٦) وأشار القلقشندي إلى الجسر المكون من المراكب، وكذلك جسر خشب من الجهة الأخرى، انظر: القلقشندي، صبح الأعشى: ٣٠٢-٣٧٩.

(٥٧) ينقل عن علي بن رضوان.

(٥٨) خسرو، سفر نامه: ١٢٤-١٢٥.

(٥٩) تجدر الإشارة هنا إلى مقالين، مقال: محمد فوزي رحيل عن «القاهرة في عيون ناصر خسرو» الذي تناول وصف ناصر خسرو للقاهرة من حيث اسمها، وقصر الخليفة، وأبوابها، والماء بها، والداكين، وعيد فتح الخليج، ومائدة الخليفة، ورجال الدولة، والجيش الفاطمي، والأمن. وعلى الرغم من تعليقاته على هذه العناصر فإن رؤية الباحث تختلف من حيث التحليل والمقارنة وغيرها من النتائج التي أمكن للباحث التوصل إليها هنا. أما المقال الآخر فعن «الحياة الاقتصادية والاجتماعية لبلدان الخلافة الفاطمية من خلال كتاب سفر نامه»، فقد خصّصه علي الحساني عن بلاد الشام ومصر واليمن، وهو مجرد ذكر لعناصر الرحلة ووصف لمدن الشام ومصر واليمن التي أوردتها ناصر خسرو، ويغلب عليها طابع التعميم دون القدرة على التحليل والمقارنة والاستنتاج، للمزيد راجع المقال في «الارك» للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، انظر: علي منفي شراد الحساني، «الحياة الاقتصادية والاجتماعية لبلدان الخلافة الفاطمية من خلال كتاب سفر نامه لناصر خسرو علوي (ت ٥٤٨١هـ / ١٠٨٨م)»، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ١، العدد ٣٢ (٢٠١٨): ٥١٢-٥٢٧. أما مقال رحيل، فمنشور في «التفاهم»، انظر: فوزي محمد رحيل، «القاهرة في عيون ناصر خسرو»، التفاهم ١٤، العدد ٥٢ (ربيع ٢٠١٦): ٣٣١-٣٤٨.

(٦٠) المرجع السابق: ١٢٥.

(٦١) تجدر الإشارة إلى أن المقرئ ذكر أن تسمية القسطنطينية بمدينة مصر كان على زمانه، بينما كان ناصر خسرو أول من أطلق عليها هذه التسمية. انظر: المقرئ، المواعظ والاعتبار، مج. ٢: ٨٥-٨٦.

(٦٢) خسرو، سفر نامه: ١١٨-١١٩.

(٦٣) أطلق عليه ناصر باب الجوامع، وعُرف بالجامع العتيق وجامع عمرو بن العاص، وللمزيد انظر: المرجع السابق: ١١٧؛ ابن عبد الظاهر، الروضة البهية: ١٣، ٧٠؛ المقرئ، اتعاظ الحنفاء، مج. ١: ١١٦-١٢٢.

(٦٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج. ٤: ٢٦٥.

(٦٥) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية: ٧٠.

(٦٦) خسرو، سفر نامه: ١١٧-١١٩.

(٦٧) عن رأي دكتور أيمن فؤاد سيد عن إقامة الخطبة، انظر: سيد، الدولة الفاطمية: ٤٠، هامش ١.

(٦٨) خسرو، سفر نامه: ١١١-١١٢.

(٦٩) أورد القلقشندي إحصائية أخرى ذكر فيها أن عدد أسطال التُّحاس المستخدمة في السقاية في القسطنطينية ١٦ ألفًا. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، مج. ٣: ٣٧٧.

(٧٠) خسرو، سفر نامه: ٥٨.

(٧١) المرجع السابق: ٩٤-٩٥.

(٧٢) عن صقلية خلال الحكم الفاطمي:

L. C. Chiarelli, *Sicily during the Fatimid Age* (PhD diss., University of Utah, 1986)؛ عمر يحيى محمد، «السياسة الفاطمية في صقلية وجنوب إيطاليا»، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز (٢٠٠٥): ١-٣٠.

(٧٣) خسرو، سفر نامه: ١١٣.

(٧٤) المرجع السابق: ١٠٧.

(٧٥) سبقت الإشارة أيضًا إلى ابن أخ التستري الذي كان لديه هذه الحديقة المعلقة. وهو نظام انفردت به مصر كما ذكر ناصر خسرو، للمزيد، انظر: المرجع السابق: ١٣٠.

(٧٦) يذكر ناصر أن أحد الولاة قد كتب إلى السلطان أن يصرف الزيت الحارَّ للمساجد بسبب قلة الزيت، فأمره بأنه ليس من الجائز أن تُغَيَّر أو تبدل شيئًا فيما يتعلق ببيوت الله. وتكرر ذلك أيضًا في عام ٥١٦هـ، فحذَّره المأمون من ذلك. انظر: المقرئ، اتعاظ الحنفاء، مج. ٣: ٨٠.

(٧٧) خسرو، سفر نامه: ١١٨-١١٩.

(٧٨) المرجع السابق: ١١٢، ١١٩، ١٢٢. أما سوق القناديل الذي ذكره، فقد وردت الإشارة إليه عند مرور الإمام الشافعي رحمته الله به، والذي عاش (١٥٠-٢٠٤هـ) مما يدل على قدمه في مصر، انظر: أبو نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأتقياء، مج. ٩ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ): ١٢٣.

(٧٩) انظر القسم الثالث من الكتاب، والذي يتناول وصفًا لرحلة حجه وعودته عبر الطائف وطريق اليمامة وهجر.

The Memory of Arabs

Peer-reviewed Journal - Sixth Edition - 2022

ISSN 2735-4210

